أَرَدْنَ بَـلَائِـي مَـا قَـضَـيْـنَ لُـبَـانَـةً
فَـقَـدْ غَـارَ أَوْ كَـادَ الـنُّـجُـومُ تَـغُـورُ(١)

٨٧
إن المحب شكور

[الطويل]

شَـكَـوْتُ إلـى سِـرْبِ الْـقَـطَـا إِذْ مَـرَرْنَ بـي
فَـقُـلْـتُ: ومِـثْـلـي بِـالْـبُـكَـاءِ جَـدِيـرُ(٢)
«أَسِـرْبَ الْـقَـطَـا هـل مِـنْ مُـعِـيـرٍ جَـنَـاحَـهُ
لَـعَـلِّـي إلـى مَـنْ قـد هَـويـتُ أَطـيـرُ»(٣)
فَـجَـاوَبْـنَـنـي مِـنْ فَـوْقِ غُـصْـنِ أَرَاكَـةٍ
أَلَا كُـلُّـنـا يـا مُـسـتَـعـيـرُ مُـعـيـرُ(٤)
وأَيُّ قَـطَـاةٍ لـم تُـعِـرْكَ جَـنَـاحَـهَـا
فَـعَـاشَـتْ بِـضُـرٍّ والْـجَـنَـاحُ كَـسـيـرُ(٥)

(١) لبانة: حاجة. هؤلاء النسوة يبغين إيذائي وإنزال المصائب بي بعدما يقضين حاجتهنّ ويتشفّين بي ويقضين وطرهنّ منّي، بعدما ينبلج الفجر وتتكشف الحقائق.
(٢) سرب القطا: جماعة ضرب من الحمام البري. بين السماء والأرض بون شاسع وكذلك فالشاعر بعيد تفصله مسافات عن حبيبته، وهو يودّ لو يجد وسيلة تعينه على ذلك. ينظر إلى السماء بحيرة فيجد قطيع القطا يسرع الطيران، فينعى لها ضعفه وبكاءه الجدير بمن لا حيلة لديه.
(٣) و (٤) ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية للعيني ١: ٤٣١، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد: ١٣٣، ١٣٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع للسيوطي ١: ٩١، الدرر اللوامع١: ٦٩، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٥١، وقد ورد البيت في ديوان العباس بن الأحنف: ١٤٣، يطلب الشاعر إلى ذلك السرب لو أن قطاة تعيره جناحيها يستعين بهما لبلوغ ديار الحبيبة، فكان الردّ أن كلّاً منّا مستعير ومستجير.
(٥) وما من قطاة تتخلّى عن جناحها؟ فهي إذاً تعاني الألم والأسى بغير جناح.

وإلَّا فَـمَـنْ هـذا يُـؤَدِّي رِسـالَـةً
فَـأَشْـكُـرَهُ إنَّ الـمُـحِـبَّ شَـكُـورُ[١]

إلـى الـلَّـه أَشـكُـو صَـبْـوَتـي بـعـدَ كُـرْبَـتِـي
ونِـيـرانُ شَـوْقـي مـا بِـهِـنَّ فُـتُـورُ[٢]

فـإنِّـي لَـقَـاسِـي الْـقَـلْـبِ إنْ كُـنْـتُ صَـابِـراً
غَـدَاةَ غَـدٍ فـيـمَـنْ يَـسِـيـرُ تَـسِـيـرُ[٣]

فَـإنْ لـم أَمُـتْ غَـمَّـا وهـمَّـا وَكُـرْبَـةً
يُـعـاوِدُنـي بَـعْـدَ الـزَّفـيـرِ زَفـيـرُ[٤]

إذا جَـلَـسُـوا فـي مَـجْـلِـسٍ نَـذَرُوا دَمِـي
فـكـيـفَ تُـرَاهَـا عِـنْـدَ ذاكَ تُـجـيـرُ[٥]؟

وَدُونَ دَمِـي هَـزُّ الـرِّمَـاحِ كَـأَنَّـهـا
تَـوَقُّـدُ جَـمْـرٍ ثَـاقِـبٍ وسَـعـيـرُ[٦]

وزُرْقٌ مَـقِـيـلُ الـمَـوْتِ تَـحْـتَ ظُـبـاتِـهَـا
ونَـبْـلٌ وسُـمْـرٌ مَـا لَـهُـنَّ مُـجـيـرُ[٧]

---

(١) إنَّ الشاعر بحاجة لمن يقوم بعمل يُشكر عليه، رسالة إلى حبيبته من قلب محب.

(٢) صبوتي: شوقي. كربتي: حزني وضيقي. اللّه سبحانه وتعالى المرجع الأخير ولا مرجع سواه، يبثّه الشاعر ما في نفسه من شوق إلى حبيبته ويرفع شكواه إليه علّه يكشف كربته عنه، فنيران حبّه دائمة الاشتعال لا تفتر، بل هي تزداد لهيباً واشتعالاً.

(٣) عدم الشاعر الصبر، ولو كان صبوراً على البعد لكان قاسي القلب، فالحنين لا يزال يعمر قلبه، ولذلك حيثما ترحل حبيبته يسير قلبه خلفها.

(٤) ما يدلّ على تدفّق الحياة زفير متلاحق يخرج من أعماق الشاعر رغم تكدّس الهموم والآلام التي يسببها له ذلك الحبّ.

(٥) يلاحق الشاعر خوف ورعب يتحدث به أهل المجلس، فقد أبيح دمه، وكأنه مجرم قاتل، وهو في الحقيقة بريء، وهو لا يجد معيناً ولا مجيراً يأخذ بيده نحو برّ أمين.

(٦) و (٧) يصوّر الشاعر مدى ما وصل إليه من رعب وخوف؛ فثمّة رماح تتوقّد غيظاً ونار لاهبة تتحرّق وتمتدّ لتخطف حياة بريئة، وتلك الرماح سُقيت بالماء حتى قست وارتدت =

إِذَا غُـمِـزَتْ أَصْـلابُـهُـنَّ تَـرَنَّـمَـتْ
مُـعَـطَّـفَـةً لـيـسَـتْ بِـهِـنَّ كُـسـورُ(١)

قَـطَـعْـنَ الـحَـصـى والـرَّمْـلَ حَـتَّـى تَـفَـلَّـقَـتْ
قَـلَائِـدُ فـي أَعْـنـاقِـهَـا وضُـفُـورُ(٢)

وقـالَـتْ: أَخـافُ الْـمَـوْتَ إِنْ يَـشْـحَـطِ الـنَّـوَى
فَـيـا كَـبِـداً مِـنْ خَـوْفِ ذَاكَ تَـغُـورُ(٣)

سَـلُـوا أُمَّ عَـمْـرٍو هـل يُـنَـوَّلُ عَـاشِـقٌ
أَخُـو سَـقَـمٍ أَم هَـلْ يُـفَـكُّ أَسـيـرُ(٤)؟

أَلا قُـلْ لِـلَـيْـلَـى هَـلْ تُـرَاهَـا مُـجِـيـرَتـي
فَـإِنِّـي لـهـا فِـيـمَـا لَـدَيَّ مُـجِـيـرُ(٥)

أَظَـلُّ بِـحُـزْنٍ إِنْ تَـغَـنَّـتْ حَـمـامَـةٌ
مِـنَ الْـوُرْقِ مِـطْـرابُ الـعَـشِـيِّ بَـكُـورُ(٦)

بَـكَـتْ حِـيـنَ دَرَّ الـشَّـوْقُ لـي وتَـرَنَّـمَـتْ
فـلا صَـحَـلٌ تُـرْبِـي بـه وصَـفِـيـرُ(٧)

= اللون الأزرق، وأسنة قاتلة فتّاكة لا تعرف للرحمة طعماً، بل مذاقها الموت الأحمر.

(١) غمزت أصلابها: أميلت نصالها. ولتلك الأسنة نغم في حال اهتزازها بأيدي حامليها مرعب، فضلاً عن سلامتها من عيوب الثلم أو الكسر.

(٢) يصف الشاعر شدّة مسير النياق وهي تقطع المسافات البعيدة مسرعة؛ فالحصى تتحطّم تحت أخفافها، والرمال وغبارها تعلو فوقها، حتى العقود في أعناقها والأحزمة في رحالها تقطّعت بسبب انسيابها السريع في المشي.

(٣) يشحط النوى: يمتدّ البعد. يُطلعنا عمّا يدور في خلد حبيبته، فهي تخشى من أن يطول الهجر والبعد اللذان يحملان الموت، ولذا فالكبد يشتدّ أوار لهيبها.

(٤) و (٥) يطلب الشاعر ممّن يلتقي ليلى معرفة نواياها فهل تحمل له ترياق الشفاء بلقاء يغسل الهمّ ويُزيل السقم أم تترك له حريّة الحياة فتُعتقه من أسر حبّها. وهل بإمكانها أن تُجيره، فلطالما ضحّى وأجارها على مذبح حبّه لها.

(٦) و (٧) ما يثير حزن الشاعر حمامة تغنّي فرحة بأليف، وقد أقبل المساء، وهي تنعم بدفء الحبّ إلى جانب من تحبّ، وفجأة تسمع بكاءَ مبعثه الحبّ، فاستحال غناؤها بكاءً حزيناً =

لـهـا رُفْـقَـةٌ يُـسْـعِـدْنَـهَـا فـكـأَنَّـمـا
تَـعَـاطَـيْـنَ كَـأْسـاً بَـيْـنَـهُـنَّ تَـدُورُ(١)
بِـجِـزْعٍ مِـنَ الْـوادِي فَـضَـاءٌ مَـسِـيـلُـهُ
وَأَعْـلاهُ أَثْـلٌ نَـاعِـمٌ وسَـديـرُ(٢)
بـه بَـقَـرٌ لا يَـبْـرَحُ الـدَّهْـرَ سَـاكِـنـاً
وآخَـرُ وَحْـشِـيُّ الـسِّـخَـالِ يَـثُـورُ(٣)

٨٨
القاضي الجائر

[الطويل]

أَأَتْـرُكُ لَـيْـلَـى لَـيْـسَ بَـيْـنِـي وَبَـيْـنَـهـا
سِـوَى لَـيْـلَـةٍ إِنِّـي إِذاً لَـصَـبُـورُ(٤)
هَـبُـونِـي امْـرَأً مِـنْـكُـمْ أَضَـلَّ بَـعِـيـرَهُ
لَـهُ ذِمَّـةٌ إِنَّ الـذِّمَـامَ كَـبِـيـرُ(٥)
ولَـلـصَّـاحِـبُ الْـمَـتْـرُوكُ أَعْـظَـمُ حُـرْمَـةً
عـلـى صـاحـبٍ مـن أَنْ يَـضِـلَّ بَـعِـيـرُ(٦)

= لحال الشاعر، فإذا به صوت شجيّ طرب، ليس فيه بحّة حزن، ولا صفير.

(١) ليست تلك الحمامة وحيدة بل ثمّة رفقة يشاركنها الفرح في جوقة وكأنهنّ يتعاطين المدام، كؤوسها تدور عليهنّ.

(٢) و (٣) يصف الشاعر لنا صورة حيّة لاجتماع أسراب الحمام، فهنّ يتخذن لهنّ مأوًى في منبسط من الأرض تغطيه الأعشاب وتعانق شجرات السدر السماء، ويتنقلْنَ حيث يشأن. وفي ذلك المكان ترعى بقرات أليفات وإلى جانبهنّ تتعايش معهنّ سِخال وعجول البقر الوحشي بهدوء وسكينة واطمئنان.

(٤) ورد البيت في: همع الهوامع، شرح جمع الجوامع ١ : ٢٠٢، الدرر اللوامع ١ : ١٧١، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١ : ١٥١. أنتم تطلبون مني أن أتخلّى عن ليلى، وليست تبعد ديارها عنّي سوى مسير ليلة، ويستغرب الشاعر أنّه صابر على البعد رغم قرب المسافة.

(٥) و (٦) يحاول الشاعر أن يثير القوم بكرم الضيافة وحسن الجوار، فللجار على الجار =